حديـــث

ألقاه رئيس الوزراء إلى صحيفة من صحف باريس ، ونشرت الأهرام خلاصته المفصلة أمس . فلما قرأناه أنكرناه ، وترددنا بين اثنتين : إحداهما أن يكون محدث رئيس الوزراء لم يحسن الفهم عنه ، ولم يوفق فى تصوير ما سمع منه . والأخرى أن يكون رئيس الوزراء نفسه متعبا قد حال المرض بينه وبين المراقبة الصحيحة لما يقول . وآثرنا على كل حال أن ندع هذا الحديث يوما أو بعض يوم لعل رئيس الوزراء أن يقرأه فيصلح منه ، ولعل الوزراء أنفسهم هنا أن يقرأوه فيصلحوه . ولم نشأ أن نشتط على الرجل فنأخذه بأشياء لعله لم يقلها أو لعله قالها وهو مريض .

ولكن صحيفة صدقى باشا مغضبة عاتبة لأن صحف المعارضة لم تحفل بهذا الحديث ، ولم تتناوله بالشرح والتعليق ، أو قل إن صحيفة صدقى باشا سعيدة بهذا الحديث ، مغتبطة ببعض ما جاء فيه ترى فيه بشيرا بطول البقاء وفألا بحسن الصلة بين الوزارة القائمة وبين الانجليز ، وهى تسجل على صحف المعارضة صمتها عن هذا الحديث ، وترى أن هذا الصمت دليل على أن صحف المعارضة قد وجمت لحديث صدقى باشا وأفحمت فهى لا تدرى ماذا تقول .

ومع أننا لم نحسن الظن قط بمهارة الذين يكتبون فى تلك الصحيفة ونصحهم لرئيس الوزراء ، فلم نكن نقدر فى يوم من الأيام أنهم ينتهون من السذاجة إلى هذا الحد ، ويصلون من الضعف إلى منزلة الغريق الذى يتعلق بالثمام ويلتمس عنده النجاة والحياة . فليس فى حديث صدقى باشا غناء ، وليس فيه جديد . وإذا لم يكن بد من أن نجد فى هذا الحديث شيئا ، فليس فيه إلا ما يدل دلالة واضحة على أن الرجل مازال متعبا مكدودا ، وعلى أن الخير كل الخير إنما هو فى أن يسمع لنصيحة « المورننج بوست » فيريح نفسه حقا ولا يجمع بين الراحة وبين النهوض بالأعمال العامة ، لأن صحته لا تبيح له ذلك ولا تتيح له القدرة عليه . وما رأيك فى رجل يريد أن يتحدث عن الامتيازات فيزعم لمحدثه أن الامتيازات قد أصبحت بلا فائدة من الوجهتين المالية والقضائية .

كوكب الشرق ٢٠٤ – ٦ – ١٩٣٣ .

بلا فائدة لمن ؟ للمصريين ، فمن الذى زعم أن المصريين استفادوا أو يمكن أن يستفيدوا من الامتيازات فائدة مالية أو قضائية ؟ متى استفاد المقيد من القيد ؟ ومتى استفاد صاحب العبء الثقيل من عبئه الثقيل ؟ ومتى استفاد المغلول من السلاسل والأغلال ؟

للأجانب ؟ فأى سخف أشد من انكار هذا الذى ينكر أن الأجانب لا يستفيدون من الامتيازات فوائد مالية وقضائية ؟ وهل يطلب المصريون إلغاء الامتيازات إلا لأنها تفيد الأجانب فتسرف فى إفادتهم ، وتضر المصريين فتسرف فى ضررهم .

ليس كلاما إذن هذا الذى قاله رئيس الوزراء ، لأن الامتيازات قد أصبحت لا تفيد من الوجهة المالية والقضائية ، وإنما هو حديث مريض قد صدر عن متعب مكدود ، فلا ينبغى أن نبحث فيه عن معنى صحيح ورأى مستقيم . ولهذا أشفقنا على رئيس الوزراء ، ولم نشأ أن نقف عند حديثه هذا وتمنينا لو فطنت الوزارة لما فيه من ضعف ، فأصدرت بلاغا يصلحه أو ينفيه . وما رأيك فى رجل يرى نفسه ويراه الناس أعظم المصريين — نستغفر الله — بل أعظم الساسة حظا من الكفاية والبراعة فى السياسة وأحاديثها حتى إذا تحدث إلى صحفى من أهل باريس زعم له أن الأمة المصرية تريد أن تلغى الامتيازات ، ولكنها تفضل إلغاءها شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ،ومرحله مرحلة، ومتى كان من السياسة والكياسة ، ومن البراعة والمهارة أن يقال مثل هذا الكلام للصحف حتى ولو كان الحق الذى لا شك فيه ؟ وباسم من يتحدث رئيس الوزراء بهذا الكلام ؟ ومن الذى زعم لرئيس الوزراء أن الأمة تريد أن تلغى الامتيازات شيئا فشيئا وقليلا قليلا ؟ أم هو يزعم أنه الأمة وأنه متى رأى رأيا فهو رأى الأمة ؟ حتى وإن كان هذا الرأى مريضا ، وما رأيك فى رجل يتحدث إلى صحفى من أهل باريس فلا يتحرج من أن يقول إننا ننتظر أن تفرغ بريطانيا العظمى من مشاغلها لنحل ما بينها وبيننا من المسائل المعلقة ، ثم يطلب إليها بعد ذلك أن تعيننا على إلغاء الامتيازات ؟ أكلام رجل يشعر حقا بما ينبغى لوطنه من كرامة وعزة هذا الكلام ، ننتظر أن تفرغ بريطانيا العظمى من مشاغلها ، ولم لا تكون المسألة المصرية بين هذه المشاغل ؟ ولم تقدم المشاغل الأخرى على المسألة المصرية ؟ أمجاملة منا للإنجليز ؟ أم استكبارا من الانجليز علينا وازدراء من الانجليز لنا ؟ فإن تكن الأولى فما أكرمنا بحقوق مصر وما أحرصنا على رضا الإنجليز ، وإن تكن الثانية فما أصغرنا فى أنفسنا وما أيسر أمرنا على أنفسنا ! ولكن الذى يتحدث هو رئيس الوزراء ، ورئيس الوزراء — كما تعلم — متعب مكدود — وليس من اليسير أن يتمكن فى كل وقت من أن يزن ما يقول ، ولو أنه يستطيع

حقا ان يزن ما يقول ، لاستحى أن يتحدث إلى صحفى من أهل باريس فيزعم له أنا ننتظر أن يتم الاتفاق بيننا وبين الانجليز لنطلب إليهم أن يعينونا على إلغاء الامتياز ، ومن يدرى لعل التعب خيل إلى رئيس الوزراء أنه يخيف الفرنسيين بهذا النذير ويملأ قلوبهم رعبا حين ينبئهم بأننا سنتفق مع الانجليز ثم نستعينهم على إلغاء الامتيازات ! ولكن التعب أنسى رئيس الوزراء أن هذا الكلام لا ينبغى أن يقال حتى وإن كان حقا لأنه لا يلائم العزة ولا الكرامة ، ولا المنفعة السياسية ، ولأنه يلقى فى روع الأجانب أنا لن نستطيع أن نلغى الامتيازات إلا أن يعيننا على ذلك الانجليز ، وأننا سنقدم اتفاقنا مع الانجليز وسيلة وإن شئت فقل رشوة لنتمكن من إلغاء الامتيازات ، ولكن الذى يتحدث هو رئيس الوزراء ، ورئيس الوزراء ، قد ذهب إلى فرسايل ليستريح لا ليشتغل بالسياسة وأحاديثها ، فهو أشد تعبا من أن يوفق إلى الصواب فى هذه الأحاديث .

وما رأيك فى رجل يتحدث إلى صحفى من أهل باريس فيزعم له أننا فى مفاوضات مستمرة مع الانجليز لحل المسائل المعلقة وينسى – وما أشد ما يدفع المرض إلى النسيان – أنه أنكر قبل أن يسافر من مصر أن تكون هناك مفاوضات بينه وبين الانجليز ، وهو إنما أنكر هذا لأن وزارة الخارجية البريطانية نفسها أنكرته إنكارا قاطعا ، فاضطر رئيس الوزراء إلى أن ينكره أيضا . وأكبر الظن أن الرجل لم يشر إلى مفاوضات مستمرة بينه وبين انجلترا منذ كانت مفاوضات ملنر ، فهو أراد اتصال الخلاف بين البلدين ومحاولة الاتفاق فحال المرض بينه وبين حسن الإشارة ودقة التعبير ، ثم جاءت صحيفته فاستغلت هذا الضعف وزعمت أن وراء القبة شيخا كما يقول العامة أو أن وراء الأكمة ما وراءها كما كان يقول القدماء . ثم أخذت تهول وتغلو فى التهويل ، وتزعم أن عندها من العلم ومن أسرار المفاوضات مالا تستطيع أن تبيحه أو تجهر به ، لأن ظروف السياسة لا تسمح بذلك . العفو ! بل نقسم أن لو كان عند رئيس الوزراء وأنصاره وصحيفته أيسر العلم بأمر المفاوضات لما سكتوا عن إذاعته وإشاعته واستغلاله ، والغلو فى استغلاله . كلا ليس عند القوم شيء إلا أمانى كذب تسعة أعشارها ، وعشرها معلق بيد القضاء .

وأظرف ما فى هذا الحديث الظريف عطف رئيس الوزراء على فرنسا واغتباطه لها بأنها لم تملك مصر . أعترف بأنى أحاول أن أجد معنى لهذا الكلام فلا أوفق إلى شيء ومن يدرى لعل عند صحيفة صدقى باشا ما يفسر هذا الكلام الذى لا أشك فى أن الفرنسيين قد قرأوه فضحكوا منه وهزوا له الرءوس والأكتاف .

ثم تحدث رئيس الوزراء عن الدين فلم يقل جديدا ، ولم يصنع شيئا ، ولم يظهر قوة ولا حزما ، وإنما أظهر ضعفا وخوفا واستعطافا وعقد أمله فى صراحة بالانجليز ومعونة الانجليز لأنهم يرون رأى مصر ، ويؤيدون مصر فى أن تدفع ورقا ، لا ذهبا . هذا هو الحديث الذى ألقاه رئيس الوزراء إلى الصحيفة الباريسية فأنكرناه وأشفقنا على صاحبه من أن تتناوله بالشرح والتعليق .

هذا هو الحديث الذى تزعم صحيفة صدقى باشا أن صحف المعارضة قد فرت من شرحه وتفسيره لأن فيه ذكرا للمفاوضات ودليلا على طول البقاء . أجادة صحيفة الوزارة فى هذا السخف أم هى تريد أن تصرف الصحف عن حديث المبشرين وعما تورط فيه وزير الداخلية من ضعف لا حظ له من قوة ، ومن أنباء لا تصور الحق ومن وعود لا يرجى لها الوفاء .

زعموا أن الكلام إن كان من فضة فقد يكون الصمت ذهبا وزعموا أن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل ، ولكن هذه الحكم الشعبية السائرة الخالدة أمرها غريب يصدقها الناس جميعا ، ويؤمن بها الناس جميعا ، ويخالفها الناس جميعا . فأما رئيس الوزراء فمعذور إن نسيها أو خالف عن أمرها ، لأنه متعب مكدود . وأما صحيفة رئيس الوزراء فمعذورة إن نسيتها أو خالفت عن أمرها لأنها غريقة تلتمس النجاة .